نماذج من الأفعال في الحزب الأخير من القرءان الكريم

الطالب، مشاشد قادة

تحت إشراف،أ.د مجاهد ميمون

كلية الآداب واللغات والفنون جامعة سعيدة.

ملخص

القرآن الكريم كتاب الله الخالد، لا تنقضي عجائبه ولا تنفذ غرائبه، أنزل بميزان حكيم في قمة الإعجاز وذروة البيان معنى ونظما ومفردات، تتسم ألفاظه بدقة المعنى وتمكن الدلالة، ترتيط بما قبلها وما بعدها بنظم دقيق لإبراز المعنى المتوخى من السياق الذي وردت فيه، من هذه الألفاظ ألفاظ في قمة الفصاحة والأصالة وردت مرة واحدة في القرآن الكريم اصطلح عليها بالألفاظ الفرائد، وسيقف هذا البحث عند بعض الأفعال الفريدة في الجزء الأخير من القرآن الكريم.

Résumé

le saint coran livre sacré du dieu ،les merveilles ne s'achevent pas et ses miracles ne se finissent pas ،il a été apporté saggement au sommum du prodige et le haut degré des declarations ،significations ، regles et lexiques ،ces termes sont caractirisés par la precision de leurs significations en se ramenant des preuves ،qui s'attachent ce qui avant et après par des systems précis pour démontrer le sens revélé du contxte dout elles étaient apparues.

De ses termes ،il y a des termes au sommet de l'éloquence et de l'originalité ،apparait une fois dans le coran.

مقدمة

يتعرض القرآن الكريم لموضوعات مختلفة وقضايا متنوعة ومواقف متباينة من القصص والتشريعات والمواعظ والحجج، بأسلوب لا نلمسه في غيره من الكتب السماوية السابقة، كيف لا وقد تحدى به الله عز وجل فحول الأدباء والشعراء الذين اشتهروا بتملك زمام اللغة والتمكن والتصرف في أساليبها؛ والقرآن من أوله إلى آخره يبقى جارياً على نظام ثابت من السموِّ في جمال اللفظ، ودقة الصياغة، وروعة التعبير، وعمق المعنى، وإن ما تتسم به اللفظة القرآنية الاتساق الكامل مع المعنى، وجمال الوقع في السمع، واتساع المعاني لما لا تتسع له دلالات كلمات أخرى.

وستناول هذا البحث إن شاء الله تعالى بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن حتى إن جذرها لم يتكرر في أي سياق آخر في القرآن كله؛ لِـيُثْبِتَ سر تفردها، فما الفرائد؟ وهل تفردت بمؤلفات خاصة في دراسات النقاد والبلاغيين؟ وما سر التعبير باللفظ الفريد؟

المبحث الأول: الفرائد القرءانية في التراث البلاغي

أ) التعريف بالفرائد

لغةً: المتصفح للمعاجم العربية يجد في مادة فرد، الفرائد: جمع فريد وفريدة. والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب فى العقد، وهى أيضا: الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة: أى لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يـُفصِّل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد[1].

ما يمكن استخلاصه من المعنى اللغوى للفرائد أنها: الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا كالذهب والدر، أو معنويا كالكلام الفريد المفصل، وهذا المعنى اللغوى لا يبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت فى كتب البلاغة والأدب والنقد[2].

اصطلاحاً:

أول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبى الإصبع المصرى (585-654هـ) فى كتابه (تحرير التحبير) تحت عنوان (باب الفرائد)[3]، وحدد المصطلح بأنه (إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرابتها) أى خسرانها وفقدانها ومثل لذلك بفرائد من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى وأورد قول أبى نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفاَ [4]

ويعلق ابن أبى الإصبع على ذلك بقوله: " إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

الفرائد في القرآن تعني تلك الكلمات التى اكتسبت صفة الفردية بدايةً لكونها كلمات قرآنية انتظمت فى سلك النظم القرآنى البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقاً قوياً؛ ثم اكتسبت ثانياً صفةً أخرى أكثر تخصيصاً وتقييداً وهى كونها(فذة)أي متفردة لم ترد فى القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر فى أى سياق آخر رغم تشابه السياقات أحياناً.

وأشار الحموي في خزانة الأدب إلى الفرائد فقال: "الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لأن المراد منه أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام الفرائد من العقد"

ب) الفرائد عند النقاد والبلاغيين القدامى:

ظهرت بوادر التأليف لألفاظ الفرائد في مؤلفات غير واحد من النقاد والبلاغيين من أمثال الجاحظ وثعلب وابن المعتز وقدامه بن جعفر وابن طباطبا وابن وهب والآمدي والقاضي الجرجاني وأبو هلال العسكري وحازم القرطاجني وابن رشيق القيرواني والسكاكي وابن الأثير وابن سنان الخفاجي وغيرهم، غير أنهم لم يتطرقوا إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، لأن النظرة كانت كلية شاملة لكل ألفاظ القرءان ولم يتوقفوا عند الجزئيات، كما أن اهتمامهم بالشعر ونفده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جعل حظ القرآن وبلاغته يقتصر على النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وقدحاول كثير منهم الانتصار للقرآن الكريم من خلال إثبات أنه يحتوي على كل علوم البلاغة من معان وبيان وبديع، حتى وصل الأمر إلى تحميل الآية ما لا تعنيه من أجل إثبات وجهة نظر، أوفكرة، أوُحكم اتخذ، وتلك الشدة في التعامل مع آيات القرآن دليل على نية المؤلف الحسنة، ودفاعه عن القرآن.

ج) مؤلفات اهتمت بالألفاظ الفرائد

من اللغويين من أفرد بابا خاصا باللفظ الفريد نذكر منهم:

1- تحرير التحبير لابن أبي الأصبع: "لقد تحدث ابن أبي الأصبع (585- 654ه) في كتابه "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر"في

الجزء الرابع عن "الفرائد، ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى

2- خزانة الأدب وغاية الأرب (للحموي): لقد ذكر أبو بكر علي بن عبدالله (767هـ-837هـ) الفرائد في كتابه قائلاً: "الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة"[5]، وذكر أمثلة أخرى من الشعر، وهو قد ذكر مصطلح الفرائد، ولكنه لم يحص عددها.

3- شرح عقود الجمان (للسيوطي): وفى حديث السيوطى(ت 911هـ) عن الفرائد فى كتابه(شرح عقود الجمان) نلاحظ أنه نسبها إلى نفسه ولم يشر إلى ابن أبى الأصبع وزعم أن(الفرائد والتنكيت) من زياداته، وساق الأمثلة نفسها التى ذكرها المتقدمون عليه. ومما هو جدير بالذكر أن السيوطي تكلم عن الفرائد في كتابين آخرين له، الأول هو: المزهر في علوم اللغة وأنواعها [6]، والثاني هو: معترك الأقران في إعجاز القرآن [7].

4- أنوار الربيع في أنواع البديع (للمدني): لقد ذكر علي صدر الدين بن معصوم الدين المدني (ت1120هـ)مصطلح الفرائد في كتابه مردداً كلام من سبقه من العلماء قائلاً: [8]"هذا النوع يختص بالفصاحة دون البلاغة...، تتنزل منزلة الفريدة من القصيدة...، ونلاحظ أنه استشهد بآيتين من القرآن فقط -وقد نقلها عن السابقين-وأكثر من الاستشهاد بالشعر.

5 معجم المصطلحات البلاغية وتطورها(أحمد مطلوب): لقد تطرق الدكتور: أحمد مطلوب إلى الفرائد قائلاً: "والفرائد من مبتدعات المصري، وهذا النوع مختص بالفصاحة دون البلاغة؛..."[9]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها الأولون، وهذا الكلام نفسه الذي ردَّده في كتابه معجم النقد العربي القديم [10].

6- مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم(دراسة لغوية)، محمود عبد الله عبد المقصود يونس،(رسالة ماجستير) جامعة الأزهر، مصر.1421هـ/ 2000م.

في هذه الدراسة تناول الباحث المفاريد القرآنية من الناحية اللغوية البحتة أي من الناحية الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، وكذا من جهة فقه اللغة ثم تتبعها كلها واستقصاها في القرآن الكريم وأردف لها معجما خاصاً في نهاية بحثه.

7- بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)(د/كمال عبد العزيز إبراهيم) [11]

وفي دراسته شرح الباحث أولاً عنوان بحثه وبالتالي شرح معنى الفرائد لغوياً، ثم تتبعها تاريخياً عند من تعرض لها ممن سبقه، ثم أحصاها عدداً، وجمعها من القرآن الكريم مثبتاً إياها في ملحق خاص في آخر الكتاب، ثم بيِّن أسباب اقتصاره على المضارع في هذه الدراسة، وشرح منهجه فيها وطريقة تعرضه لها، وكيفية تحليله لها.

المبحث الثالث: من الأفعال الفرائد في الحزب الأخير من القرءان الكريم

أولا سطحت: ورد الفعل في قول تعالى: ﴿**وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ [12] الآية في وظيفة إثبات قدرة الخالق عزّ وجل، سطحت معناه: تبسطت واتسعت، سطح البيت أعلاه، وسطح الأرض: بسطها [13]، وسطح الأرض عند اللغويين والمفسرين يعني: بَسطها وتوطئتها بحيث تصير صالحة للمتقلب عليه. ومهادا للسالك فيها [14]

أوجه الإعجاز في هذا الفعل تكمن في:

1- إن كل شيء مسطح لا بد أن يكون له منتهى فلو تخيلنا أن الأرض على شكل مربّع فإن الماشي على سطحها ينتهى إلى الحافة فلا بجد سطحا ولا امتدادا.

2- لنقف وننظر ونسير في الأرض، فسوف نجدها مسطحة تماما وإن لسطحها امتدادا لا ينتهي أبدا، هذا هو الأمر العجب والمعجز الذي دعا الله الناس للتفكير فيه واستشعار قدرته وكمال خلقه.

5- بناءالفعل للمجهول وعدم ذكر الفاعل يفسح المجال للنظر في دلائل قدرة الله، ويترك للإنسان مهمة البحث بنفسه عن الأدلة الدالة على الفاعل الصانع المبدع.

ثانيا: جابوا فعل ورد في قوله تعالى ﴿**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**﴾ [15]حيث تتحدث الآية عن قصة قوم ثمود مع العمارة والبناء والتشييد، والجوب معناه: القطع، والفعل هنا يعبر عن الواقع وبدقة متناهية، فهم لا يقطعون ثم يتوقفون، بل يقطعون وينحتون، ويزخرفون وينقشون ويرتبون ويصنعون بيوتا للسكن، وهذا الذي يؤديه الفعل "جابوا" فلا يفي هذه الدلالات إلا هذا الفعل، فلو قال قطعوا فإنه يعبر فقط عن القطع دون إضافة.

إن استعمال القرآن الكريم للفظة جابوا يؤكد تفرده وتميزه في استقصاء حياة الأمم السابقة فهو يسجل محطة تاريخية معجزة ولأنه الوحيد الذي حكى عن الثموديين وحضارتهم.

ثالثا: طحاها ورد في قوله تعالى ﴿**وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا**﴾ [16] يقول ابن فارس: (طحو) الطاء والحاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على البسط والمدّ [17]

المعنى أن الله خلق الأرض وبسطها ووطأها ومهدها للسكن والكلمة هنا تؤدي نفس المعاني: دحاها – بسطها – وسعها – مهدها.

والدحو ذكر في موضوع الحديث عن كوكب الأرض في سورة النازعات (والأرض بعد ذلك دحاها) أما قي قوله (والأرض وما طحاها) فكان لاعتبارها منطقة.

وهناك علماء كثيرون يقولون ليس ثمة فرق بين الدحو والطحو ومنهم ابن عاشور: يقول: "طحو الأرض بسطها وتوطئتها للسير والجلوس والاضطجاع " ويقول الرازي نقلا عن الليث: الطحو كالدحو وهو البسط وإبدال الطاء من الدال جائز، وذاك من روعة اتساق ألفاظ القرءان مع المقام الذي ترد فيه.

ومن كلمة طحاها اشتقت آلة الطاحون التي تدور وتدور بانتظام، فتتوزع الحبات بالتساوي بين رحاها دون اختلاف، وهكذا الأرض في طحاها ودورانها يتوزع الضوء بين جنباتها ويتماثل الضغط الهوائي في غلافها والرياح على أطرافها والمياه غي جوفها، وبذلك تستقر الحياة على وجهها في تناغم رائع وانسجام وتكامل وجمال. [18]

رابعا: فألهمها، ورد في قوله تعالى ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[19] الآية في سياق القسم بالنفس الإنسانية، السوية التي على الفطرة ومعنى الإلهام، يقال ألهمه الله الخير "لقنه إياه والمعنى أن يلقى الله في النفس أمرا ليبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده (قصة أم موسى عليه السلام)،

وقيل: ايقاع شيء في النفس يطمئن إليه الصدر، يخص الله به بعض أوليائه "[(20)]

هذا مطلق عدل الله في الناس والتعبير بألهم هو استعمال دقيق وتخير دقيق فلا يفي بالغرض لو قال (خلق – جعل – أوجد –أوحى) فكلها أفعال تعني التأسيس والجبر، وقدم الفجور على التقوى للتحذير منه وتجنبه.

خامسا دمدم ورد الفعل في قوله تعالى ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا**﴾[21] الاية في ذكر قصة ثمود وتحذير الكفار والفعل دمدم يقال دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض وطحطحته ودمدم الله عليهم أي أهلكهم وقيل دمدم معناه أرجف وقيل غضب [22].

استعمال هذه اللفظة ذو تأثير صوتي مخيف، لأنها ذات مقطعين متشابهين هما دم /دم وهو جرس مدو مخيف، ونوع من الأسلوب المخيف كالتأكيد في آية أخرى (إن بطش ربك لشديد) أي تأكيد بمؤكدين [إن] و[اللاّم].

وحقيقة الدمدمة هو تضعيف العذاب وترديده، والدمدمة: إهلاك باستئصال، وقال ابن الأعرابي: "دمدم إذا عذّب عذابا تاما" [23] وطريقة العذاب بهذا الفعل تؤكد إلى أي حدّ كان غضب الله عليهم شديدا.

خاتمة

في نهاية هذا البحث لابأس أن نشير إلى ما توصلنا إليه:

1- مصطلح الفرائد يطلق على اللفظة الذي لاترد إلا مرة واحدة في كلام المتكلم، فهي بمنزلة الفريدة من العقد والجوهرة التي لانظير لها، إذا سقطت من الكلام ذهبت فنيته.

2-الإشارة إلى الألفاظ القرءانية الفرائد في تراثنا البلاغي كانت عرضية ولم تكن اللفظة مقصودة بعينها، بدليل عدم إفراد أبواب خاصة بها، لأن

النظرة لألفاظ القرءان كانت كلية شاملة والتعمق في مكامن اللفظة وسر ورودها بهذه الصيغة يحتاج إلى وقوف عند الجزئيات.

3- اللفظة القرآنية عامة والفرائد خاصة تتميز بدقة الاختيار، وجمال التصوير، وشدة الانسجام، وقوة الالتحام بينها وبين جاراتها، ولا يمكن أن تُستبدل بها غيرها، فكأنها خلقت لهذا المكان وخلق لها، فهي عنوان البلاغة والإعجاز، وآية القدرة الإلهية التي أحاطت بمفردات اللغة، واختارت منها ألفاظا هي الأدق معنى، والأوفى تصويرا، والأنسب لسياقها.

4- لتحديد تفرد اللفظة القرءانية يلزم مراعاة ودراسة السياق الذي وردت فيه والبحث في فروقها اللغوية.

هوامش البحث

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، 2000م.

(2) الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله،خزانة الأدب وغاية الأرب،دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ط1، بيروت، 1987م، ص372.

(3) ابن أبى الأصبع، تحرير التحبير، تحقيق. د. حفنى شرف، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1983م، ص 578،576

(4) ديوان أبى نواس (الحسن بن هانئ) تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالى، ط. دار الكتاب العربى. بيروت 1984، ص 432

(5) الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ط1، بيروت، 1987م، ص297.

(6) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت/محمد جاد المولى، ج 1، ط: الحلبي، مصر.(د.ت)،ص251.

(7) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ج، بيروت 1، 1988م، ص407.

(8) المدني، صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع(مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م: النعمان، ط1، العراق، 1388هـ، ص672، 673.

(9)، تحريرالتحبير، مرجع سابق، ص103.

(0) مطلوب، أحمد، معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، ط1، بغداد،1989م، ص160، 161.

(1)إبراهيم، كمال عبد العزيزم).بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)، ط1، الدار الثقافية، مصر،2006، ص45- 65.

(12) سورة الغاشية الآية 20

(13) البسومي، باسل سعيد،معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات، رام الله فلسطين2001،ص26

(14) الزجاج، علي إبراهيم،معاني القرآن وإعرابه، ت/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت.ج.5 ، 1988، ص 319

(15) سورة الفجر الآية 09

(16) سورة الشمس الآية06

(17) ابن فارس، مقاييس اللغة،مرجع سابق، ص 348

(18) محمدسلامة عبد الهادي،.تأملات إيمانية في سورة الشمس، موقع هدي الإسلام

(19) سورة الشمس الآية08

(20). ابن منظور،.لسان العرب مرجع سابق.ص246

(21) سورة الشمس الآية14

(22)، الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح.مصر: الأميرية.ط2، 1910

(23) الشوكاني،.فتح القدير،ج8.،تحفيف د/ عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر،1994م، ص 5

قائمة المصادر والمراجع

01القرءان الكريم

02) إبراهيم، كمال عبد العزيزم).بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)، ط1، الدار الثقافية، مصر،2006

3) ابن أبى الأصبع، تحرير التحبير، تحقيق. د. حفنى شرف، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1983م

4) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، 2000م.

5) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، ط1، بغداد،1989م.

6) ديوان أبى نواس (الحسن بن هانئ) تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالى، ط. دار الكتاب العربى. بيروت 1984
7) البسومي، باسل سعيد،معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات، رام الله فلسطين.2001
8) الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ط1، بيروت، .1987
9) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح.مصر: الأميرية.ط2، 1910
10) الزجاج، علي إبراهيم،معاني القرآن وإعرابه، ت/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت.ج.5 ، 1988.
10) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت/محمد جاد المولى، ج 1، ط: الحلبي، مصر.(د.ت).
11) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ج، بيروت 1، 1988م.
12) الشوكاني،.فتح القدير،ج8.،تحفيف د/ عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر 1994.
13) المدني، صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع(مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م: النعمان، ط1، العراق، 1388هـ.